كلمة لحسان في رثاء شهداء مؤتة

قال ابن إسحاق: وكان مما بُكِي به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قولُ حسان بن ثابت [من الطويل]:

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بَيَثْرِبَ أَعْسَرُ ... وَهَمٌّ إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ مُسْهِرُ[1]

لِذِكْرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِيَ عَبْرَةً ... سَفُوحاً وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّذَكُّرُ[2]

بَلَى إِنَّ فِقْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ ... وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ

رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا ... شُعُوبَ وَخَلْفاً بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ[3]

فَلاَ يُبْعِدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا ... بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ

وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا ... جَمِيعاً وَأَسْبَابُ الْمَنِيَّةِ تَخْطِرُ[4]

غَدَاةَ مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ ... إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ أَزْهَرُ[5]

أَغَرُّ كَضَوْءِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... أَبِيٌّ إِذَا سِيمَ الظُّلاَمَةَ مِجْسَرُ[6]

فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ ... بِمُعْتَرَكٍ فِيهِ قَنَاً مُتَكَسِّرُ[7]

فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ ... جِنَانٌ وَمُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ[8]

وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ... وَفَاءً وَأَمْرًا حَازِماً حِينَ يَأْمُرُ

وَمَا زَالَ فِي الإِسْلاَمِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... دَعَائِمُ عِزٍّ لاَ يَزُلْنَ وَمَفْخَرُ

هُمُ (٢٢٨/أ) جَبَلُ الإِسْلاَمِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ ... رِضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ[9]

بِهَالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ ... عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ[10]

---

(١) تأوَّبني، أي: عَاوَدَني ورجعَ إليّ، وأعْسَرُ معناه: عَسيرٌ. ومُسْهِرٌ. أي: مانِعٌ من النوم.

(٢) عَبْرَةٌ، أي: دَمْعَةٌ. والسُّفُوحُ: السائِلَةُ.

(٣) قال الشيخ أبو ذر الخشني:
تَوَارَدُوا شُعُوباً: من رواه بِضَمِّ الشين فهو: جَمْعُ شَعْبٍ وهي القَبيلة، وقيل: هو أكثر من القبيلة، ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمَنِيَّة من قولك: شَعَبْتُ الشَّيْءَ: إذا فَرَّقْتَهُ، ويجوز فيه الصَّرْفُ وتَرْكُهُ. وخَلْفاً: من رواه بالفاء، يعني به: من يأتي بَعْدُ، ومن رواه بالقاف فهو معلوم.

(٤) أَسْبابُ المَنِيَّةِ تَخْطِرُ، ويُقال: خَطَرَ في مِشْيَتِهِ يَخْطِر: إذا تَبَخْتَرَ فيها، وتحرَّك واهْتَزَّ.

(٥) مَيْمُونُ النقيبَةِ، أي: مَسْعُودٌ مُنْجِحٌ فيما يَطْلُبُه. وأَزْهَرُ، أي: أَبْيَضُ.

(٦) أَبِيٌّ، أي: عَزِيزٌ. وَسِيمَ معناه: كُلِفَ، مِجْسَرٌ، أي: كثيرُ الجَسارةَ.

(٧) المُعْتَرَك: موضعُ الحرب.

(٨) الحَدائِقُ: الجَنّاتُ واحِدُتها: حَدِيقةٌ.

(٩) رِضَامٌ: جَمْعُ رَضْمَةٍ: وهو الكَدْسُ من الحِجارة يُجْعَل بَعْضُها على بعضٍ، وطَوْدٌ: جَبَل، يَروق، أي: يُعْجِبُ.

(١٠) بَهالِيلُ: سادَةٌ واحِدُهم: بُهلولٌ.

وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمُ ... عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ
بِهِمْ تُفْرَجُ الْأَلْأَاءُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ ... عَمَاسٍ إِذَا مَا ضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ[1]
هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ ... عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ[2]

قصيدة لكعب بن مالك في شهداء مؤتة

وقال كعب بن مالك [من الكامل]:

نَامَ الْعُيُونُ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ ... سَحًّا كَمَا وَكَفَ الطِّبَابُ الْمُخْضِلُ[3]
فِي لَيْلَةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ هُمُومُهَا ... طَوْراً أَجِنُّ وَتَارَةً أَتَمَلْمَلُ[4]
وَاعْتَادَنِي حُزْنٌ فَبِتُّ كَأَنَّنِي ... بِبَنَاتِ نَعْشٍ وَالسِّمَاكِ مُوَكَّلُ
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا ... مِمَّا تَأَوَّبَنِي شِهَابٌ مُدْخَلُ[5]
وَجْداً[6] عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا ... يَوْماً بِمُؤْتَةَ أُسْنِدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْهِمُ مِنْ فِتْيَةٍ ... وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسْبِلُ[7]
صَبَرُوا بِمُؤْتَةَ لِلْإِلَهِ نُفُوسَهُمْ ... حَذَرَ الرَّدَى وَمَخَافَةً أَنْ يَنْكُلُوا[8]
فَمَضَوا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ ... فُنُقٌ عَلَيْهِنَّ الْحَدِيدُ الْمُرْفَلُ[9]
إِذْ يَهْتَدُونَ بِسَجْعَفَرٍ وَلِوَائِهِ ... قُدَّامَ أَوَّلِهِمْ فَنِعْمَ الْأَوَّلُ
حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرٌ ... حَيْثُ الْتَقَى وَغْثُ الصُّفُوفِ مُجَدَّلُ[10]
فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لِفَقْدِهِ ... وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ وَكَادَتْ تَأْفِلُ[11]

---

(١) اللأواءُ: الشِّدَّةُ، والمأزِقُ: المكان الضَّيِّقُ في الحرب، والعَماسُ: المُظْلِمُ يريد من ارتِفاع الغُبارِ.
(٢) ينظر ديوانه ص (٢٢٣)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٩٧).
(٣) وَدَمْعُ عَيْنك يَهْمُلُ، أي: يَسِيلُ، يقال: هَمَل الدَّمْعُ: إذا سال. سَحاً، أي: صَبًّا، وَوَكف: قَطر. والطِّبَابُ: ثَقْبُ خَرْز المَزادة الَّتي يُجْعَل فيها الماءُ، والمُخْضِلُ: السائِل النَّديُ.
(٤) أجِنُّ: من الخنين، وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء، ويروى: أَحِنُّ. بالحاء المهملة من الحنين، وأتَمَلْمَلُ أي: أتَقَلَّبُ.
(٥) الجَوانِحُ: عِظام أسْفَل الصَّدْرِ، والشِّهَابُ: القِطْعَةُ مِنَ النار.
(٦) الوَجْدُ: الحُزْنُ.
(٧) الغَمامُ: السَّحَابُ، والمُسْبِل: المُمْطِر، ويقال لِلمَطر: سَبَلٌ.
(٨) أن يَنْكُلُوا، أي: مخافَةَ أنْ يَرْجِعوا هائِبين لِعَدُوِّهِم، يُقال: نَكَل عن الأَمْر: إذا رَجَعَ عنه هَيْبَةً له.
(٩) فُنُقٌ: جَمْعُ فَنِيق وهو الفَحْلُ من الإبل. والمُرْفَلُ: الَّذي تَنْجَرُّ أطرافهُ على الأَرْض، يعني: الدُّرُوعَ.
(١٠) الوَغْث: الرَّمْل الَّذي تغيب فيه الأَرْجُلُ، ومُجَدَّلٌ، أي: مَطْروحٌ بالجَدالة وهي الأَرْض.
(١١) تَأْفِلُ، أي: تَغيبُ.